بحث محكَّم

الفقيه العلامة أحمد بن يحيى بن عطوة

وجهوده في الفقه والدفاع عن عقيدة السلف

إعداد

د. علي بن عبدالعزيز بن علي الشبل

عضو هيئة التدريس بكلية الشريعة بالرياض

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ آل عمران.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ النساء.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ الأحزاب.

أما بعد....

فإن الله سبحانه وتعالى قد خص هذه الأمة من بين الأمم برسالة أفضل الرسل نبينا محمد عليه الصلاة والسلام، فظهرت به المحجة وقامت على الأمة الحجة، ولم يلتحق بالرفيق الأعلى حتى أتم الله علينا النعمة، وأكمل لنا الدين، قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ (المائدة الآية / ٣)، ولقد مضى سلف الأمة على دين النبي - صلى الله عليه وسلم - فاعتقدوه وعملوا به ودعوا إليه، حتى ظهرت البدع والأهواء، فاجتهدوا في الدفاع عن العقيدة والذب عنها، وسار على ذلك العلماء بعدهم، يجعلون صيانة العقيدة وحمايتها من أهم الأعمال، ومن هؤلاء في القرن العاشر الهجري في بلاد نجد العلامة: أحمد بن يحيى بن عطوة التميمي العييني النجدي، توفي ٩٤٨هـ في فترة ندر وجود العلماء في هذا القطر،

حيث شحت المصادر التاريخية والعلمية بذكر العلماء فيه.

وهذا بحث أتناول فيه علماً من أعلام نجد، وشيخاً من شيوخ الحنابلة، وعالماً من علماء المسلمين رحمهم الله أجمعين من خلال التعريف بسيرته العلمية، وجهده وجهاده في الذب عن العقيدة الإسلامية والدفاع عنها، فيما يتعلق بصفات رب البريّة سبحانه وتعالى.

فكان هذا البحث المسمى «الشيخ العلامة أحمد بن يحيى بن عطوة ٩٤٨هـ ومنهجه وجهوده في الدفاع عن عقيدة السلف».

والشيخ العلامة أحمد بن يحيى بن عطوة أبرز علماء نجد قبل دعوة الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب ١١١٥ - ١٢٠٦هـ رحمهم الله ، بل الشيخ ابن عطوة أشهر من أشيد بهم من علماء نجد في ذلك الوقت، وليس أولهم، حيث وُجد في نجد علماء وفقهاء غيره؛ لكنهم لم يبلغوا شهرته.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره: وأهمها ما يلي:

١- العناية باعتقاد السلف الصالح، تقريرًا ودفاعًا و دعوة.

٢- إبراز جهود علماء أهل السنة والجماعة في هذا المجال ولاسيما من تأخر منهم.

٣- توضيح جهود علماء نجد في فترة ما قبل دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب الإصلاحية.

٤- إبراز طرف من الناحية الدينية والعلمية في نجد في القرن العاشر الهجري.

٥- تحقيق المخطوطة، والمتعلقة بمسألة كلام الله، والرد على الأشاعرة والمنحرفين فيها.

هذا وقد جاء هذا البحث في مقدمة – وهي هذه – مشتملة على حمد الله والثناء عليه، والصلاة على رسوله صلى الله عليه وسلم مع ذكر أهمية الموضوع ودواعي اختياره، وتفصيل خطته.

ثم جاء بعدها فصلان:

الفصل الأول: في السيرة العلمية للشيخ العلامة أحمد بن عطوة العييني.

متناولاً: اسمه ونسبه، ومولده ووفاته، ونشأته وطلبه للعلم، وشيوخه، وإجازاته، وأبرز طلابه وتلاميذه، ومكانته العلمية، وثناء العلماء عليه، وتصانيفه، ومناظراته.

والفصل الثاني: في منهجه في العقيدة، وجهوده في الدفاع عن عقيدة السلف، متناولاً: عقيدته، ومنهجه في اعتماده على القرآن الكريم، والسنة النبوية، والآثار السلفية، وفهمه لهما على مقتضى اللغة، واعتباره الإجماع، وثناؤه على أئمة السلف وتنويهه بالعلماء، واستئناسه بالأدلة العقلية في ردوده، ودفاعه عن عقيدة السلف.

هذا وما كان في البحث من صواب وإجادة فهو محض توفيق الله وعونه، فله الحمد وحده لا شريك له، وما كان فيه من غير ذلك فمن نفسي ومن الشيطان، واستغفر الله من الخطأ كله، واستعيذ من الشيطان.

والكريم يهب خطأ المحسن لصوابه، وأسأل الله قبوله عنده، وأن ينفع به، ويجعله ذخراً في الدارين إنه سبحانه أرحم الراحمين، وهو سبحانه ولي التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله أجمعين.

الفصل الأول

السيرة العلمية للشيخ العلامة أحمد بن يحيى بن عطوة - رحمه الله -

اسمه ونسبه(1):

هو الشيخ أحمد بن يحيى بن عطوة بن زيد التميمي الناصري – من النواصر، من الحبطات – العمروي من بني عمرو أحد بطون قبيلة بني تميم العربية الشهيرة وبطونها أربعة كبار، كما قال الشاعر:

يعدُّ الناسبون إلى تميم ... بطون المجد أربعة كبارا
يعدون الرِّبابَ وآلَ عمروٍ ... وسعداً ثم حنظلة الخيارا(2)

كما يُعرف الشيخ أحمد بن عطوة بالعُييني، نسبة إلى بلده التي ولي قضاءها والفتيا فيها، بلدة العيينة إحدى بلدان العارض بنجد(3)، جرياً على عادة كثير من العلماء والمترجمين في نسبة الرجل إلى بلده الذي نشأ فيه أو تولى قضاءه وسكناه حتى وإن كان له نسب معروف مشهور، وكثيراً ما يشتهر هذا في غير معروفي النسب منهم!

ولقبه مشايخه وأصحابه من أهل الشام بشهاب الدين، طرداً على عادة أهل تلك الجهات بتلقيب من اسمه أحمد من العلماء والتجار والأمراء والوجهاء: بشهاب الدين.

علمًا بأن هذا التلقيب بشهاب الدين، وعز الدين، ومحي الدين، وتقي الدين،

---

(1) مصادر الترجمة: «السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة» ١/ ٢٧٤. «عنوان المجد» ٢/ ٣٠٣. - «تاريخ بعض الحوادث في نجد» ٤٦ و٤٧. «علماء نجد» ١/ ٥٤٤. «الأعلام» ٢٨٢٧٠ - «الجوهر المنضر» ١٥. عدد من الوثائق الخطية، وطرر المخطوطات.

(2) يُنسب هذا إلى غير واحد من الشعراء كجرير وذي الرمة وغيرهما، وشهرته عند النسَّاب ولاسيما التميميين تُغني عن معرفة قائله! والله أعلم. انظر ديوان ذي الرمة ١٣٧٧.

(3) بلدة العيينة تقع شمال الرياض- عاصمة المملكة العربية السعودية، بنحو ٣٠ كيلاً، على ضفاف أحد فروع وادي حنيفة، وكانت في القرن العاشر وما بعده من أهم حواضر نجد ومراكزها العلمية.

مما لا يُعرف في نجد وغيرها، ولما فيه من المحاذير من جهة التزكية والإطراء في المدح...الخ.

مولده ووفاته:

لم تحدد المصادر التأريخية التي ترجمت للشيخ أحمد بن عطوة سنة ولادته، وإنما يتلمس المترجمون ذلك بناءً على قرائن؛ حيث يظهر أنه ولد في النصف الثاني من القرن التاسع الهجري ٩هـ، في بلدة العيينة ومن قرائن ذلك:

١- أنه لقي في بلاد الشام العلامة الفقيه علاء الدين علي بن سليمان المرداوي ٨١٧-٨٨٥هـ صاحب كتاب «الإنصاف في الراجح من مسائل الخلاف»، وغيره.

٢- معاصرته للعلامة الفقيه الحنبلي شرف الدين أبو النجاء موسى بن أحمد الحجاوي ٨٩٥ - ٩٦٨هـ صاحب «الإقناع»، ومتن «زاد المستقنع»، وغيرهما.

٣- أخذه عن جماعة من الشيوخ - الآتي بيانهم - في بلاد الشام ممن تقدمت وفاتهم في أول القرن العاشر.

٤- الاستئناس بقول النبي صلى الله عليه وسلم: «أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين وأقلهم من يجوز ذلك»[٤].

أما وفاته فقد اتفقت المصادر التي ترجمت للشيخ ابن عطوة على وفاته في ٢/٩/٩٤٨هـ في بلده: العيينة.

قال الشيخ أحمد المنقور في «الفواكه العديدة»: توفي الشيخ شهاب الدين أحمد بن يحيى بن عطوة بن زيد التميمي الحنبلي ليلة الثلاثاء ثانية شهر رمضان، سنة ثمان وأربعين وتسعمائة من الهجرة، ودفن في الجبيلة، ضجيعاً لزيد بن الخطاب

(٤) رواه الترمذي ٥/٥٥٣ برقم ٣٥٥٠ وصححه الألباني. انظر «السلسلة الصحيحة» ٢/٣٨٥ برقم: ٧٥٧

رضي الله عنه، خلفه أحمد، ورأسه حيال كتفي زيد[٥].

نشأته وطلبه للعلم:

ولد الشيخ أحمد بن عطوة في العيينة، ونشأ بها وقرأ على علمائها.

حيث كانت العيينة في ذلك الوقت أشهر مدن نجد وأكبرها وأكثرها علماء، ثم سمت همته إلى التزود من العلم، والرحلة للطلب، فيمَّم صوب بلاد الشام - وكانت مجمعًا للعلماء والفقهاء - فقدم دمشق، ومن حرصه على التزود والتعلم سكن مدرسة الحنابلة الشهيرة بمدرسة أبي عمر[٦] في صالحية دمشق، وهي محلة الحنابلة منذ عدة قرون[٧]، وكانت حافلة بالعلماء - كما سيأتي في تسمية شيوخ ابن عطوة - وبها مجموعة كبيرة من الكتب والنوادر.

فأقام في مدرسة أبي عمر في الصالحية مدةً فقرأ على مشايخها، وانتفع، وتفقه حتى مهر في الفقه وبرع فيه، وعكف على العلم ومطالعة الكتب والتقييد عليها، حتى ظهر خطه وتعليقاته وتوقيفاته على طرر المخطوطات، حيث حصَّل جملة كبيرة منها، أوقفها على مكتبة المدرسة قبل رجوعه إلى نجد، حيث تفرقت كتب المدرسة بعدما أهملت ولعب بها الناس، وضُمَّ ما تبقَّى منها إلى دار الكتب الظاهرية، والتي

(٥) «الفواكه العديدة في المسائل المفيدة» وهو المعروف عند العلماء بمجموع المنقور، ١ / ١٥٠ وهذا المجموع المفيد حوى فقه علماء نجد، ولاسيما قبل دعوة الشيخ المجدد محمد بن عبد الوهاب ١٢٠٦هـ وهو مطبوع في مجلدين، وأول من طبعه الشيخ علي بن عبد الله آل ثاني حاكم قطر بإشارة من العم الشيخ محمد بن عبد العزيز بن مانع ١٣٨٥هـ. ومؤلفه وجامعه هو الشيخ الفقيه المؤرخ: أحمد بن محمد المنقور التميمي ١٠٦٧ - ١١٢٥هـ وله التاريخ المشهور، ومناسك الحج، وكلها مطبوعة مشهورة. وترجمته في عنوان المجد ٢ / ٣٦٠، وعلماء نجد ١ / ١٩٥ و«السحب الوابلة» ١ / ٢٥٢ وتاريخ بعض الحوادث في نجد ٩٠، ومقدمة الشيخ ابن مانع للفواكه، المجموع.

(٦) وهو الشيخ محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي ٦٠٧هـ مؤسس هذه المدرسة، وهو والد الشارح الشيخ الفقيه عبد الرحمن بن محمد المعروف بابن أبي عمر ٥٩٧ - ٦٨٢هـ صاحب الشرح الكبير على المقنع والموفق ابن قدامة المقدسي ٥٤١ - ٦٢٠هـ، وهو بالمناسبة أخ لمؤسس المدرسة الشيخ محمد بن أحمد وأصغر منه، وهو عم صاحب الشرح الكبير. انظر: الذيل لابن رجب ٢ / ٥٢، ٣٠٤، وسير أعلام النبلاء ٢٢ / ٥، والشذرات ٥ / ٣٧٦.

(٧) انظر: ابن الحنبلي وكتابه الرسالة الواضحة ١ / ٢٧ - ٣٣.

حفظت الآن بمكتبة الأسد الوطنية بدمشق.

والمقصود أن الشيخ ابن عطوة جدَّ وبرع في العلم والحفظ، وكانت له قوة في حافظته حيث كان يحضر دروس شيخه أحمد الشويكي الحنبلي، ويعقد المسائل بخيط: مسألة مسألة، ثم يحلُّها ويكتبها بعد الدرس. وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

قال الشيخ المنقور في مجموعه:

.. وكذا فعل الشيخ شهاب الدين ابن عطوة مع ذكائه وحفظه، حال قراءته على شيخه أحمد بن عبد الله العسكري، قال: ولم يأذن لي في الكتابة في الدرس، فكنت أعلقه بعده، فاحتجت إلى أن أكتب بعض كلامه بالمعنى، وهكذا فعلت، ولنا فيه أسوة.. الخ[٨].

شيوخه:

لم تتحفنا مصادر التراجم للشيخ أحمد بن عطوة بذكر كثير من الشيوخ الذين أخذ عنهم العلم؛ بل لم تذكر أحداً من شيوخه الذين أخذ عنهم في قطره: نجد، حيث يقول صاحب «السحب الوابلة»: ولد في بلده العيينة، ونشأ بها، فقرأ على فقهائها، ثم رحل إلى دمشق لطلب العلم...[٩].

وسبب ذلك شُحُّ المصادر التأريخية، رغم شهرة الشيخ ابن عطوة وعلو قدره في العلم.

أما من شيوخه الذين أخذه عنهم في دمشق الشام:

الشيخ العلامة الفقيه المشهور بمصحح المذهب علاء الدين علي بن سليمان

(٨) مجموع المنقور «الفواكه العديدة من المسائل المفيدة» ١ / ٤.

(٩) «السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة» لابن حميد ١ / ٢٧٤.

المرداوي الحنبلي ٨١٧ - ٨٨٥هـ مؤلف «التنقيح المشبع » و»الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف»، وهو تحرير لمذهب الإمام أحمد ورواياته. فقد نقل الشيخ عبد الله البسام من خط الشيخ عثمان بن قائد النجدي ١٠٩٧هـ وهو من أهل العيينة، فهو بلديُّ الشيخ ابن عطوة، قال ابن قائد[(١٠)]: الشيخ أحمد بن عطوة أخذ عن مصحح المذهب صاحب الإنصاف والتنقيح الشيخ علاء الدين بن سليمان المرداوي.

ومن شيوخه الشيخ المصنف الجمال يوسف بن حسن بن عبد الهادي المشهور بابن المبرد الحنبلي ٨٤٠ - ٩٠٩هـ صاحب التصانيف الكثيرة ومن أكبرها «جمع الجوامع»، وقد جمع فيه الكتب الكبار الجامعة لأشتات المسائل «كالمغني» و«الشرح الكبير» و«الفروع»، وقد أفادني الشيخ عبد الله البسام رحمه الله أنه وقف على الجزء الثالث والستين من جمع الجوامع لابن عبد الهادي بخطه وقد بلغ فيه إلى كتاب الإجارة، وله غيره من المصنفات الكثيرة المحررة وما دون ذلك[(١١)].

ومن شيوخه الشيخ الفقيه: أحمد بن عبد الله العسكري الصالحي الحنبلي ٩١٠هـ قال صاحب السحب: .. وقرأ على أجلاء مشايخها، منهم العلامة الشيخ شهاب الدين أحمد بن عبد الله العسكري شيخ الشيخ موسى الحجاوي، وتخرج به وانتفع، وقرأ على غيره كالجمال يوسف بن عبد الهادي، والعلاء المرداوي...»[(١٢)].

وهو صاحب كتاب «التوضيح في الجمع بين المقنع والتنقيح» حيث لم يكمله

---

(١٠) هو الشيخ عثمان بن أحمد بن سعيد بن قائد النجدي، ولد في العيينة وأخذ عن علمائها: عبد الله بن ذهلان وهو ابن عمته ثم رحل إلى الشام ثم مصر وأخذ عن الخلوتي وأبو المواهب، وأخذ عنه أحمد بن عوض المرداوي وغيره، له حاشية محرره على المنتهى مطبوعة، وله هداية الراغب شرح عمدة الطالب، من أنفس كتبه. مات بمصر سنة ١٠٩٧هـ. انظر علماء نجد ٣/ ٦٨٣ وعنوان المجد ١/ ٨٦ والسحب الوابلة ٢/ ٦٩٧ والتسهيل ٢/ ١٦٢.

(١١) ترجمته في «النعت الأكمل» ٥٧ و«الشذرات» ٨/ ٤٣ و«فهرس الفهارس» ٧٤ وشالضوء اللامع» ١٠/ ٣٠٨ و«السحب الوابلة» ٣/ ١١٦٥ وغيرها.

(١٢) «السحب الوابلة» ١/ ٢٧٤ وانظر ترجمته فيها وفي «الكواكب السائرة» ١/ ١٤٩، و«الشذرات» ٨/ ٥٧، و«النعت الأكمل» ٧٨، و«التسهيل» ٢/ ١٢١.

وإنما أتمه بعده الشيخ الشهاب أحمد بن محمد الشويكي الحنبلي ٩٣٧-[١٣] ١٠٠٧هـ، والله أعلم. ومما قرأه على شيخه العسكري كتاب «الفروع» لابن مفلح الحنبلي، وهو بالمناسبة أخص شيوخه الذين أخذ عنهم ولازمهم وانتفع بهم وناقشهم.. هذا وقد أكثر الشيخ أحمد بن عطوة الأخذ عن شيخه أحمد العسكري، ونقل دروسه وتحريراته حيث يقول في رسالة خاصة نقل عنها الشيخ البسام ما نصّه:

هذه فوائد على الفروع بما أفاده سيدنا وشيخنا العلامة صاحب الدين المتين والورع واليقين الشيخ أحمد بن عبد الله العسكري الحنبلي، متع الله المسلمين بحياته وكرمه آمين، بلفظه غالباً، أو معنى لفظه؛ لأنه متَّع الله ببقائه لم يأذن في حال قراءتي عليه الكتاب المذكور في تعليق ما أفاده من المشكلات في مجلس الدرس، فكنت إذا افترقنا من مجلس الدرس علقت ما تيسر حفظه، فلهذا احتجت إلى نقل بعض ذلك بالمعنى، كتبه الفقير إلى ربه القدير: أحمد بن يحيى التميمي الحنبلي[١٤].

إجازاته:

والإجازة عند أهل العلم على نوعين:

١- إجازة عند أهل الحديث، وهو نوع من أنواع الرواية، تعطي المُجاز معه نقل الرواية عن شيخه المُجيز بحسب الشرط المعتبر فيها. قال الحافظ العراقي في ألفيته:

ثم الإجازة تلي السماعا ... ونُوِّعتْ لتسعةٍ أنواعا

٢- إجازة عند العلماء - في غير الإقراء والحديث - وهي إذن من الشيخ المُجيز لتلميذه المُجاز بالتدريس أو الإفتاء أو القضاء، وهي ما يشبه إلى حد كبير في زماننا هذا الشهادات العلمية الممنوحة في الجامعات والمعاهد على تنوع رتبها.

---

(١٣) ترجمته في «النعت الأكمل» ١٦٦، و«مختصر الطبقات» ٩٢، و«السحب الوابلة» ١ /٢١٧.

(١٤) نقلاً عن «علماء نجد» للبسام ١ /٥٥١.

وهذا النوع مع الذي قبله كثيراً ما يُدمجا عند المتأخرين من العلماء، وهما قد حصلتا للشيخ أحمد بن يحيى بن عطوة، فقد أجازه مشايخه، فحصّل ثلاث إجازات:

١- الأولى من شيخ المذهب ومصححه شيخه: علي بن سليمان المرداوي ٨٨٥هـ.

٢- الثانية من شيخه المصنف: الجمال يوسف بن حسن بن عبد الهادي الحنبلي ٩٠٩هـ.

٣- والثالثة من شيخه الفقيه - وهو أخص شيوخه -: أحمد بن عبد الله العسكري الحنبلي ٩١٠هـ.

هذا وقد رأيت وحصلت جملة من إجازات علمائنا من الحنابلة ومن إجازات غيرهم، فوجدتها تواطأت على دمج النوعين المذكورين عند إجازة المشايخ للمستجيزين، ولاسيما طلابهم الذين أخذوا عنهم العلم، والله ولي التوفيق.

مكانته العلمية وثناء العلماء عليه:

لقد حظي الشيخ أحمد بن عطوة على ثناء العلماء من شيوخه الذين أخذ عنهم، وأيضًا من تلاميذه وعارفيه، وكذا ممن ترجموا له ممن جاءوا بعده.

قال صاحب «السحب الوابلة» عن الشيخ ابن عطوة:

...وقرأ على أجلاء مشايخها، منهم العلامة الشيخ شهاب الدين أحمد بن عبدالله العسكري شيخ الشيخ موسى الحجاوي، وتخرج به وانتفع، وقرأ على غيره كالجمال يوسف بن عبد الهادي، والعلاء المرداوي، وتفقه ومهر في الفقه، فأجازه مشايخه وأثنوا عليه، فرجع إلى بلده موفور النصيب من العلم والدين والورع، فصار المرجوع إليه في قطر نجد، والمشار إليه في مذهب الإمام أحمد، وانتفع به

خلق كثير من أهل نجد تفقهوا عليه، وألف مؤلفات عديدة...[١٥].

كما أثنى عليه وبالغ الشيخ عثمان بن قائد النجدي ١٠٩٧هـ لما أجاز الشيخ محمد الحنبلي، والشيخ أحمد بن عطوة معدود في إسناده، في طبقة شيوخ شيوخ الشيخ عثمان بن قائد - رحم الله الجميع -.

ما نقله الشيخ ابن بسام عن خطاب منسوب للشيخ القاضي منصور بن يحيى ابن مصبح الباهلي[١٦]، حيث ورد فيه: أشهد أن الشيخ شهاب الدين أحمد بن عطوة أمرنا وأمر القضاة على زمانه بالرجوع إلى قول المالكية، وهي أن من حاز داراً أو عقاراً على حاضر بالبلد عاقلاً رشيداً عشر سنين ثم ادعى الحاضر على الحائز بعد ذلك، فإن دعواه لا تقبل ولا تسمع أبداً في هذا العقار البتة، وقال ابن عطوة: كان شيخنا العسكري يرجع في المدة العرف... [١٧].

فهذا يدل على مكانة الشيخ ابن عطوة حيث أمره وقوله ماضٍ على علماء زمنه وقضاتهم كما أفاده نقل الشيخ القاضي منصور الباهلي، وكثير من قضاة زمانه من طلابه.

وقد نقل الشيخ الجامع أحمد بن منقور ١١٢٥هـ في مجموعه: «الفواكه العديدة في المسائل المفيدة» جملة من فتاواه ومناظراته وتقريراته مشيداً بها، مثنياً على صاحبها الشيخ الشهاب أحمد بن عطوة، وستأتي إحالتها على كتاب الفواكه في مؤلفات ابن عطوة إن شاء الله.

ومما يلخص المكانة العلمية التي حازها الشيخ أحمد بن عطوة، وتبوأها في نجد ما قاله الشيخ المؤرخ عبد الله البسام في ترجمته:

---

(١٥) «السحب الوابلة» ١/ ٢٧٥.

(١٦) وهو أحد قضاة الأمير أجود بن زامل العامري العقيلي أمير الأحساء ونجد في زمنه، وكان القضاة في زمنه تحت ولايته. وانظر عنوان المجد ٢/ ٣٠٣.

(١٧) «علماء نجد» ١/ ٥٤٧.

والقصد أن المترجم صار له زعامة علمية في قطره، لما يتمتع به من سعة العلم، ودقة الفهم، وحسن التصور، ولما هو عليه من الصلاح والتقى والوقار والسمت...[18].

هذا والمقصود أن العلامة أحمد بن عطوة حصَّل مكانة علمية مرموقة في بلاد نجد، حتى صار المرجوع إليه في قطر نجد في العلم والقضاء والفتوى.

مما يدل عليه أن القضاة رجعوا إليه في أقضيتهم، رجوعهم إلى كبيرهم ورئيسهم، كما ذكره تلميذه القاضي منصور بن يحيى بن مصبح الباهلي، وذكره غيره، ونوَّه عنه الشيخ ابن منقور في غير موضع من مجموعه «الفواكه العديدة».

ولقد نُقل عن الشيخ ابن عطوة قوله على قضاة وولايات زمانه:

إن ولايات الحكام في وقتنا هذا ولايات صحيحة، وإنهم قد سدُّوا من ثغور الإسلام ثغراً سدُّه فرض كفاية، ولو لم نأخذ بهذا القول ومشينا على الطريق التي يمشي فيها من يمشي معه الفقهاء، الذين يذكر كل منهم في كتاب «صفة القاضي» كلاماً إن قلنا به إنه لا يصح أن يكون أحدٌ قاضياً، حتى يكون من أهل الاجتهاد، ثم يذكر شروط الاجتهاد؛ لكان تعطيلاً للأحكام، سدّاً لباب الحكم، وأن لا ينفذ حقاً.

والصحيح أن الحكام اليوم حكوماتهم صحيحة نافذة، وولايتهم جائزة شرعاً...[19].

تلاميذه:

لقد أخذ العلم عن علامة زمنه الشيخ ابن عطوة خلق كثير انتفعوا به، كما نصّ عليه صاحب السحب الوابلة مما نقلته عنه سابقاً، هذا وقد عدَّ الشيخ البسام في

---

(١٨) «علماء نجد» للبسام ١/ ٥٤٧.

(١٩) «علماء نجد» للبسام ١/ ٥٤٧.

كتابه «علماء نجد» جملة من طلابه، حتى عدّ منهم الشيخ الفقيه موسى الحجاوي الحنبلي ٩٦٨هـ ولم أتبين ذلك! ولعله بناه على تزاملهما على شيخهما العسكري، وما يكون بينهما من المذاكرة وما وقع من المناظرة، وتقدم وفاة ابن عطوة وتأخر وفاة الحجاوي.

على أنني لم أر أحداً سبق الشيخ ابن بسام لهذا التتلمذ، والله أعلم.

هذا وممن ذكروا من تلاميذه، وممن نقلوا عنه، كما في مجموع الشيخ أحمد المنقور:

١- الشيخ عبد القادر بن بريد بن راشد بن مشرف الوهيبي التميمي.

٢- وابنه الشيخ محمد بن عبد القادر بن بريد بن راشد بن مشرف الوهيبي التميمي.

وهما من أعمام أجداد الشيخ المجدد محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي ابن محمد بن أحمد بن راشد بن بريد بن مشرف الوهيبي التميمي.

٣- الشيخ أحمد بن فيروز.

٤- الشيخ عثمان بن علي بن زيد.

٥- الشيخ موسى بن عامر قاضي الدرعية.

٦- الشيخ عبد الرحمن بن مصبح الباهلي.

٧- الشيخ منصور بن يحيى بن مصبح الباهلي، القاضي.

٨- الشيخ سلطان بن إدريس بن ريس الوهيبي، القاضي.

٩- الشيخ محمد بن عتيق، وقد جاء ذكره في أول رسالته «طرف الطرف».

١٠- الشيخ عبد الله بن رحمة الناصري العمروي الحنبلي، وهو زميله ومن أبناء عمومته.

تصانيفه:

لم تتحفنا المصادر بكثير من مؤلفات الشيخ ابن عطوة، وإنما الذي بلغنا منها رسائل غير مطولة، مع هذا فقد ذكر صاحب السحب[٢٠] أنه ألف مؤلفات عديدة وقد وصف تحقيقاته بأنها نفيسة، وتدقيقاته بأنها لطيفة، ومن رأى ما في «مجموع المنقور» من فتاويه أدرك ذلك منه، هذا وأكثر مؤلفاته في الفقه، ومن تأليفه:

١- منسك في الحج، ولعله أكبر تأليفه، حيث يقول البسام وقد اطلع على أوله: وبعد: فهذا كتاب وضعته في مناسك الحج وغاية القصد، ورتبته على مقدمة وعشرة أبواب وخاتمة، أما المقدمة، فتشتمل على سبعة فصول[٢١].

٢- الروضة الأنيقة. وسماها المنقور: «بروضة ابن عطوة»[٢٢].

٣- التحفة البديعة.

٤- درر الفوائد وعقيان القلائد.

٥- فتاوى ومناظرات وأجوبة ومناقشات وإفادات[٢٣]، نقل جملة منها ابن منقور في مجموعه «الفواكه العديدة»، وهي دالة على تبحره وتفقهه وتدقيقه وسعة فهمه.

٦- طُرَف الطرف في مسألة الصوت والحرف[٢٤].

وهي عقيدة الإمام أحمد بن حنبل بصياغة الشيخ ابن عطوة ولفظه في مسألة أن كلام الله عزّ جل، القرآن وغيره، بحرف وصوت.

٧- المصباح المضيء في بطلان حكم من جعل مستند حكمه ظنه عدم الفرق بين

(٢٠) «السحب الوابلة» ١/ ٢٧٥.

(٢١) علماء نجد للبسام ١/ ٥٥١.

(٢٢) «الفواكه العديدة» ١/ ١٩٩ و٢٠٤ و٢٤٤ و٣٠٧.

(٢٣) انظر: مجموع المنقور: الفواكه العديدة ١/ ٤٠ و٥٥ و١٢٠ و١٥٢ و١٥٣ و١٦١ و١٦٧ و١٩٣ و١٩٥ و١٩٨ و١٩٩ و٢٠٠ و٢٠٣ و٢٠٤ و٢٠٥ و٢١٢ و٢٢٤ و٢٢٦ و٢٢٩ و٢٣٠ و٢٤١ و٢٥٩ و٢٦٥ و٢٦٦ و٢٧٥ و٢٨٣ و٣١٣ و٣١٤ و٣٣٢٦ و٣٤٠ و٣٤١ و٣٤٧ و٣٧٣ و٤٠٨ و٤٤٢.

(٢٤) وهي قيد التحقيق والدراسة والتعليق.

الشرط المنسي واللفظي. وهي رسالة مخطوطة بخط الفقيه المؤرخ ابن ربيعة العوسجي.

مناظراته:

لقد جرت مناقشات ومباحثات علمية دينية، قد نطلق عليها تجوزاً مسمى المناظرات بين الشيخ ابن عطوة وشيخه أحمد العسكري وبين أقرانه، وبعض علماء ومتعلمي زمنه.

وعلى كلٍ فهذه المناظرات والمناقشات يمكن أن نقسمها إلى قسمين:

١- مناظرات في العقيدة:

وتمثلها رسالته الشهيرة «طرف الطرف في مسألة الصوت والحرف».

حيث ناقش مخالفيه من متأخري المتكلمين الذين يتهمون أهل السنة والجماعة المثبتة لصفات الله عز وجل، ومنها كلامه سبحانه بأنه حرف وصوت، كما جاءت بذلك الأدلة في الكتاب والسنة، وإجماع سلف الأمة فيتهمونهم بأنهم حنابلة حشوية، وأن الشيخ أحمد بن يحيى بن عطوة أكبر الحشوية..!

فناقشهم في رسالته «طرف الطرف» باستغراب الطعن على الحنابلة وأهل الحديث بهذه الألقاب المستقبحة، ثم ساق الأدلة على وجوب اتباع الحق والانقياد له ثم أدلة الوحيين على إثبات صفة الكلام لله عزَّ وجلَّ، وأن جبريل سمعه من الله وأسمعه بعد ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والآثار عن صحابته رضي الله عنهم، ثم أتبعه بنقول عن متأخري الحنابلة كشيخه العلاء المرداوي وابن اللحام إلى أن ارتفع فبلغ الأصحاب إلى أن بلغ الإمام أحمد بن حنبل، مدعماً ذلك بنصوص الوحيين الشريفين على إثبات تنزيل كلام الله القرآن، وتكلم الله به، وأن كلام سبحانه في القرآن وغيره بحرف وصوت يُسمع ... الخ.[٢٥]

(٢٥) انظر «طرف الطرف» للشيخ ابن عطوة، وكذا ترجمة شيخه أحمد العسكري في «السحب الوابلة» ١/ ١٧١.

٢- أما مناظراته في الفقه فعديدة وهي مشتملة في كتبه: «التحفة» و«الروضة» و«درر الفوائد»، وما نقل الشيخ ابن منقور في مجموعه في مواضع عديدة، وأشار إليها صاحب السحب الوابلة في ترجمته لابن عطوة.

والمقصود أن هذه المناقشات منها ما ظهر واشتهر وحصل فيه المكاتبات مع علماء الشام، ومنها ما كان بين علماء وقضاة نجد.

قال الشيخ البسام: وقد جرى بين المترجم - أي ابن عطوة - وبين زميله الشيخ أحمد الشويكي النابلسي - وهو قرينه على شيخهما أحمد العسكري - مناظرة، كما وقع بينه وبين الشيخ عبد الله بن رحمة الناصري مثلها، وذلك في التمر المعجون، هل يبقى على معياره الأصلي مكيلاً أو يصير معياره الوزن؟

فنصر المُترجم - يعني ابن عطوة - القول الثاني، وعارضاه في ذلك، واشتدت المناظرة بينه وبينهما، فصنف رداً عليهما في ذلك: فأيَّد رَدَّه وصحَّحه قضاةُ أجود بن زامل العامري العقيلي ملك الأحساء والقطيف ونجد الذين تقدم ذكرهم.

قال المنقور: الشيخ محمد بن عبد القادر بن مشرف، أخذ العلم عن جماعة من أجلهم الشيخ أحمد بن يحيى بن عطوة، وأخذ ابن عطوة عن الشيخ العسكري، كما أن الشويكي أخذ عن العسكري، فالعسكري شيخ ابن عطوة والشويكي، وهما قرناء، وبينهما مخالفة في مسائل ذكرت في مواضعها، وصلى الله وسلم على محمد(٢٦).

فأبان هذا عن هذه النقاشات والمباحثات الفقهية الواقعة بين ابن عطوة وأقرانه، والله الموفق.

(٢٦) علماء نجد للبسام ١/ ٤٤٩ـ ٥٥٠ وانظر مجموع المنقور ١/ ١٩٦.

الفصل الثاني

منهجه في العقيدة، وجهوده في الدفاع عن عقيدة السلف

عقيدته:

لم تتحفنا المصادر بالمعلومات الوافية عن الشيخ أحمد بن يحيى بن عطوة التميمي، ولذا صرنا نتلمس عقيدته ومنهجه من خلال مصدرين رئيسين:

١- ما كتبه عنه العلماء المترجمون له والمعرفون به، وقد أثنى عليه كل من ترجمه في علمه وديانته، وفقهه، وسعة اطلاعه، كما ذكروا عنه الديانة والورع والصيانة، وهذا في الحقيقة نتاج صلاح العقيدة، وصحة الإيمان، إذ كل إناء بالذي فيه ينضح. وفي الحديث: «ما أسرّ عبد سريرة إلا ألبسه الله رداءها، إن خيراً فخير وإن شراً فشر»[٢٧].

كما ذكروا شيوخه، وهم علماء أجلاء فضلاء - لم يُعرف عنهم سوء المعتقد - أهم شيوخه الثلاثة:

١- الشيخ العلاء المرداوي ٨٨٥هـ.

٢- والشيخ الجمال يوسف بن عبد الهادي ٩٠٩هـ.

٣- والشيخ أحمد بن عبد الله العسكري ٩١٠هـ.

فالمعروف عنهم أنهم على عقيدة الحنابلة - نسبة للإمام أحمد بن حنبل - وهي عقيدة أهل السنة والجماعة.

٢- المصدر الثاني: من خلال ما وصل إلينا من مؤلفاته على قلتها، وأكثرها فقهية، وفتاويه من خلال «مجموع المنقور»، ورسالته المنسوبة إليه «طرف الطرف في مسألة الصوت والحرف» بل هو رحمه الله صرح في رسالته هذه أنه على عقيدة

(٢٧) رواه الطبراني في المعجم الكبير: ٢ / ١٧١ برقم: ١٧٠٢.

السلف الصالح، ولاسيما في باب الأسماء والصفات، حيث قال معتبراً الإجماع الصحيح والعرف المتفق عليه: وأيضًا فأهل العرف متفقون على أنه من لم ينطق ليس بمتكلم، ولو حلف لا يتكلم فلم ينطق لم يحنث إجماعاً.

والفرقة الناجية إن شاء الله تعالى أهل السنة والجماعة يؤمنون بما أخبر الله تعالى به في كتابه، وثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في خطابه من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، ولا تأويل، وعلى هذا درج السلف وأئمة الخلف، فكلهم متفقون على الإقرار والإمرار، وقد أمرنا باقتفاء آثارهم والاهتداء بمنارهم...[٢٨].

والمراد بالإقرار والإمرار لنصوص صفات الله، وأدلة الغيب هو الإيمان بها وبمعانيها، دون الخوض في كيفياتها وماهياتها.

وبتأمل هذا كله تبيّن أنه على عقيدة سلفية سنية مبناها على الوحيين: الكتاب والسنة، والإجماع، مدعمًا ذلك بالنقول عن السلف الصالحين من علماء أهل السنة والجماعة، ورَدّ أقوال المنحرفين في العقيدة من أهل البدع: جهمية ورافضة، وصوفية ومعتزلة، وأشاعرة وسائر المتكلمين.

اعتماده على القرآن الكريم:

إن أعظم أصول منهج أهل السنة والجماعة بناؤهم منهجهم واعتقادهم على الوحيين الشريفين: كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

فالقرآن الكريم وهو كلام رب العالمين الذي أنزله على سيد المرسلين - صلى الله عليه وسلم - مصدر عقيدتهم ومنهجهم ودينهم.

والشيخ اعتمد في استدلاله وتلقيه على الكتاب العزيز فها هو يقول عن العلماء:

(٢٨) «**طرف الطرف**» ق ١٤.

وحموا شرعه المُنزَّل، فحماهم من الفساق الذين توعدهم بقوله يقينًا:

﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ بِغَيۡرِ مَا ٱكۡتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحۡتَمَلُواْ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا ٥٨﴾ (الأحزاب).

واستدل على إثبات أن القرآن كلام الله عزَّ وجلَّ حقًا وصدقاً بالقرآن حيث قال: ويزيد ما قررناه إيضاحاً قوله تعالى: ﴿وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ٦﴾ (التوبة)، وإنما يسمع الصيغ المنطوق بها....

ثم لما ساق الآيات التي أخبر بها عن شأن كلام القرآن، وتحدّي العرب به، ومكانته.. قال: وهذا الباب في كتاب الله تعالى كثير، من تدبّر القرآن طالباً للهدى معه، تبيَّن له طريق الحق إن شاء الله تعالى...[٢٩].

وهذا يدل على اعتماده على القرآن الكريم في العقيدة، تلقيًا منه، واستدلالاً به، ولاسيما في الرد على المخالفين من المعطلين والمفوضين والمؤولين.

اعتماده على السنة النبوية:

وهذا أيضًا ثاني الأصول المعتبرة عند أهل السنة والجماعة في تلقي دينهم وعقيدتهم والاستدلال عليها.

وقد ظهر هذا جلياً عند الشيخ في ردوده، وخصوصاً في رسالته هذه، فنجده يعول على إيراد حديث النبي صلى الله عليه وسلم، مستدلاً به، مخرجًا لأحاديثه، عازياً لها إلى ما رواه الشيخان: البخاري ومسلم منها، ثم يستمد أحكامه من منطوق هذه الأحاديث.

فها هو لما استدل بآيات القرآن الكريم على إثبات كون القرآن كلام من الله حرفًا وصوتًا، اتبع ذلك بذكر أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم فقال:

(٢٩) انظر: «طرف الطرف» ق ٨، ١٥، ٢٠-٢٥.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إذا تكلم الله بالوحي سمع صوته أهل السماء فيخرون سجدًا..» إلى آخر الحديث، أخرجه البخاري في صحيحه.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «يحشر الله العباد فيناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب أنا الملك الديان» رواه البخاري في كتاب التوحيد.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : «من أحبَّ أن يسمع القرآن فليسمعه من ابن مسعود» فنصَّ على أن سماعه من ابن مسعود...[٣٠]. إلى أن ذكر خمسة أحاديث، ثم قال: .. إلى أمثال هذه الأحاديث التي عبّر فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ربه، بما يخبره [٣١].

فها هو يستدل بالسنة، ثم يعول على تخريجها بعزو الحديث إلى صحيح البخاري بكتاب التوحيد منه، ثم الاستدلال على كون القرآن مسموعاً بحديث سماع قراءة ابن مسعود.

وبالمناسبة فقد درج الشيخ على جادة علماء السلف في تعداد وسرد الآيات والأحاديث محل الاستدلال على المسألة، فيذكر جملة منها سرداً لدلالتها على المسألة المُستدل منها. وهذه جادة معروفة عند السلف في سرد النصوص الكثيرة الدالة على مضمون واحد، مما يؤكد التلقي والاستدلال منها.

اعتماده على الآثار السلفية:

والمقصود بها الآثار المروية عن الصحابة الكرام رضي الله عنهم، وعن التابعين في تفسير الآيات والأحاديث، وبيان المراد منها، وهذه طريقة أهل السنة والجماعة، كما ظهرت بذلك مناهجهم وظهر في تصانيفهم، حيث يستدلون للعقيدة؛ بل وللشريعة

---

(٣٠) «طرف الطرف» ق ١١-١٢.

(٣١) «طرف الطرف» ق ١١-١٢.

بالقرآن ثم بالحديث، ثم يسوقون الآثار المروية عن الصحابة ومن بعدهم من أئمة الدين، وهم يعتبرون بآثار علماء الصحابة وفقهائهم تعويلاً عليها، قبل غيرها.

فالمؤلف، لما ساق الأدلة من الكتاب والسنة على إثبات كون القرآن كلام الله، وأنه بحرف وصوت، ساق آثار الصحابة على ذلك مبتدءاً بآثار شيوخهم رضي الله عنهم حيث قال: وقال أبو بكر وعمر - رضي الله عنهما -: إعراب القرآن أحبُّ إلينا من حفظ بعض حروفه، وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: من كفر بحرف منه فقد كفر به كله. وسُئِل عن الجنب يقرأ القرآن، فقال: لا، ولا حرفاً[٣٢].

وكان قد أصَّل مذهب السلف في مسألة كلام الله ناقلاً له عن الإمام أحمد من رواية حرب عنه لما قال: وذكر أن هذا مذهب أهل العلم وأصحاب الأثر، وأهل السنة المتمسكين بهذا المعتقد أنهم فيها من لدن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا...[٣٣].

فهمه الوحيين على مقتضى اللغة:

أنزل الله الوحي بلسان عربي بيّن واضح، على عرب أقحاح يفهمون خطاب لغتهم ويعرفون، حيث قال سبحانه: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ (الشعراء).

وكذا السنة النبوية فإنها وحي ثانٍ، وهي الحكمة التي أيَّد الله رسوله صلى الله عليه وسلم بها قال تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴿١١٣﴾﴾ (النساء) والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: «ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه»[٣٤].

(٣٢) «طرف الطرف» ق١٢.

(٣٣) «طرف الطرف» ق ١٢.

(٣٤) رواه أبو داود في سننه برقم: ٤٦٠٤ وأحمد في المسند: ٤/ ١٣٠ برقم ١٧٢١٣ وصححه الألباني في الصحيحة برقم: ٢٨٧٠

ولذا صار المحتكم عند العلماء في فهم القرآن والسنة، تفسير القرآن بالقرآن، وبالسنة، وبالآثار السلفية المروية عن الصحابة رضي الله عنهم، وهم العرب الأقحاح الذين نزل عليهم وفيهم الوحي، وشهدوا تنزيله، وعلى أحوالهم وقضاياهم ونوازلهم واستفتاءاتهم نزل.

والشيخ رحمه الله في تقريره اعتقاد السلف، ودفاعه وذبِّه عنه بنى منهجه على ذلك، فقد حمل القرآن والحديث على مقتضى اللغة العربية، التي هي وعاؤهما. ولهذا قال في رده على الأشاعرة: والدليل على ذلك في الكتاب والسنة وإجماع أهل اللغة في العرف، أما الكتاب ...[٣٥].

ولهذا نجده لما رد على الأشاعرة في عقيدتهم بالقول «بالكلام النفسي» نقض عليهم ذلك:

١- بأن اللغة العربية لا تسمي الحديث النفسي والمعنى النفسي كلامًا.

٢- بأن اللغة العربية تصف الأخرس والساكت أنه غير متكلم، ولو كان يدور في نفسه وخلده حديث.

٣- وبأن اللغة العربية الكلام فيها بحروف تجتمع فتكون كلمات ثم جمل... تؤدي المراد.

٤- وبأن اللغة العربية الكلام فيها هو المسموع، وإلا فكيف يكون كلاماً.؟

٥- ونقض الاستدلال من الأشاعرة والمتكلمين بقول الأخطل وهو الشاعر النصراني:

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما **جعل اللسان على الفؤاد دليلاً.**

من وجوه كثيرة، تبطل هذا الفهم والاستدلال[٣٦].

---

(٣٥) «**طرف الطرف**» ق١١و ١٢ و١٣.

(٣٦) «**طرف الطرف**» ق١١ و١٢ و١٣.

وهذا كله يدل على فهمه الوحي الشريف باللغة التي بها نزل، مما أجمع عليه أهل اللغة.

اعتباره الإجماع:

الإجماع هو المصدر الثالث من مصادر التشريع، وهو المصدر الثالث بعد الوحيين الشريفين من مصادر تلقي العقيدة والاستدلال لها. أخذاً من قوله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥﴾ (النساء).

ومن قول النبي صلى الله عليه وسلم: «لا تجتمع أمتي على ضلالة»[٣٧].

وأهل السنة والجماعة لم يزالوا وما زالوا يعتبرون الإجماع الصحيح حجة لا تحلُّ مخالفته، وهو محل التعويل في العقيدة والشريعة، وينوهون به في تلقيهم واستدلالهم وردهم على مخالفيهم، هذا والإجماع الذي ينضبط هو ما كان عليه الصحابة والتابعون وتابعوهم، فبعدهم كثر الخلاف وانتشرت الأمة[٣٨].

والشيخ رحمه الله بنى على هذه المنهجية فاعتبر الإجماع في ردوده، وصرّح به غير مرة.

ومن ذلك قوله لما ساق الأدلة من الكتاب العزيز والسنة المطهرة، ثم آثار الصحابة على إثبات أن القرآن كلام الله، بحرف وصوت: وقد اتفق المسلمون على عدد سور القرآن وآياته، وكلماته، وحروفه، ولا اختلاف بين المسلمين بأن من جحد من القرآن سورة، أو آية، أو كلمة، أو حرفاً متفق عليه أنه كافر[٣٩].

---

(٣٧) رواه الإمام أحمد في المسند: ٢/ ١٨٨ برقم ٢٧٢٦٧، والحاكم في المستدرك: ١/ ٢٠٠ وصححه الألباني في الصحيحة: ١/ ٢٧٣ رقمه: ٢٧٢٩.

(٣٨) كما نصَّ عليه شيخ الإسلام ابن تيمية في أواخر العقيدة الواسطية.

(٣٩) «طرف الطرف» ق ١٢.

وكما الإجماع الصحيح حجة، فكذلك العرف الصحيح معتبر، كما قال تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ ﴿١٩٩﴾﴾ (الأعراف)، وقال سبحانه: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ (النساء:١٩)، وإذا اتفق أهل العرف أضحى حجة في فهم الدليل المناط بالعرف، حيث قال: ... وأيضاً فأهل العرف متفقون على أنه من لم ينطق ليس بمتكلم، ولو حلف لا يتكلم، فلم ينطق، لم يحنث إجماعاً.

والفرقة الناجية - إن شاء الله تعالى - أهل السنة والجماعة يؤمنون بما أخبر الله به تعالى في كتابه وثبت عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في خطابه من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل ولا تأويل، وعلى هذا درج السلف وأئمة الخلف، فكلهم متفقون على الإقرار والإمرار، وقد أمرنا باقتفاء آثارهم والاهتداء بمنارهم، وحُذرنا المحدثات[٤٠].

ثناؤه على أئمة السلف وتنويهه بالعلماء:

إن مما يميز أهل السنة والجماعة عن كثير من الفرق والأهواء المبتدعة سلامة ألسنتهم وصدورهم على علمائهم وصالحيهم، ولاسيما صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وآل بيته رضوان الله عليهم أجمعين، ثم تابعيهم فمن تبعهم بإحسان رحمهم الله جميعاً.

فإذا رأيت الرجل يثني ويمدح ويجلُّ السلف الصالح ويحبهم ويتولاهم، ويعول على آثارهم، فهذا علامة سلامة منهجه، وصحة معتقده، وقد تواتر النقل عن العلماء أن الأخذ عن العلماء وأصحاب الأثر سلامة لدين الرجل وعقيدته؛ بل ومصداقية لمنهجه وانتمائه لأهل السنة والجماعة، وهذا كله مبني على قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا

(٤٠) «طرف الطرف» ق ١٤.

تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ (الحشر).

ولذا رأينا الشيخ يورد آثار الصحابة رضي الله عنهم مشيداً بهم وبها، ومفسراً بها نصوص الوحيين، مرتباً لها على أدلة الكتاب والسنة.

وقد رأيت للشيخ في رسالته نقلاً يجمع هذه المنهجية حيث يقول في مناقشته منكري أن يكون كلام الله بحرف وصوت: وذكر أن مذهب أهل العلم وأصحاب الأثر وأهل السنة المتمسكين بهذا المعتقد أنهم فيها من لدن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا، وذكر أن من خالف في هذا وطعن فيه أو عاب قائله أنه مخالف مبتدع خارج عن الجماعة زايل عن منهج السنة.

وذكر أن مذهب أحمد بن حنبل وإسحاق والحميدي وسعيد بن منصور وغيرهم ممن جالسنا، وأخذنا عنه العلم، وكلام الأصحاب في ذلك كثير، وقد أشرنا إلى بعض أماكن، فمن أراده فليطلبه هناك، ولعمري لو استقصينا في ذكر أدلة ما ذهب إليه الإمام أحمد وأصحابه وغيرهم من أهل السنة والجماعة في المسألة المذكورة، – يعني إثبات كلام الله بحرف وصوت – نقلاً وعقلاً لضاق به ناضُّ الأوراق، لكن ما لا يدرك بكليته لا يترك بكليته، جمعاً بين المصلحتين بذكر ما لا يملُّ ولا يخلُّ(٤١).

استئناسه بالأدلة العقلية في ردوده:

وذلك أن العقل ليس مصدراً من مصادر تلقي العقيدة؛ بل ولا الشريعة؛ لكون العقول تتفاوت في مداركها أعظم تفاوت، ولو كانت مصدراً محل الاعتماد لاكتفينا بها في ديننا من غير حاجة لبعث رسل أو إنزال كتب.

هذا وما زال أهل السنة والجماعة في هذا الأصل متوسطين: أهل عدل ووسطية، فلم يعطوا العقل أعظم من حقه ويغلوا فيه كما فعله المعطلون من الفلاسفة والجهمية

(٤١) «طرف الطرف» ق ١٠-١١.

والمعتزلة والأشاعرة المتكلمون.

ولم يعطلوا العقل عن درك الاستنباط والتأمل، والتفكر والاعتبار، كما تعطله المقلدة والمشبهة الممثلة وأضرابهم.

ولذا فدور العقل اللائق به في العقيدة والشريعة هو الاستدلال والاستنباط، ورد النظير إلى نظيره، والمثيل إلى مثيله، فضلاً عن التفكر والاعتبار.

والشيخ رحمه الله أعمل ذلك بوضوح في ردوده ومناقشاته المنحرفين في إثبات صفة كلام الله، وأنه بحرف وبصوت، ويظهر هذا في رسالته فإنه لما ذكر الأدلة من كتاب الله عز وجل ثم من سنة النبي صلى الله عليه وسلم ، متبعاً لها بالآثار السلفية عن الصحابة رضي الله عنهم ، ثم ذكر ما اتفق عليه المسلمون وأجمعوا، وما اتفق عليه أهل اللغة، وأهل العرف المستقيم، وابتدأ مناقشة المخالفين قال: وأنه لو كان ما في النفس يُسمَّى كلاماً في الحقيقة لما وصف أهل اللغة الأخرس والساكت أنه غير متكلم لتجوزيهم أن يكون في النفس كلاماً.

وأيضًا فالكلام مشتق من الكلم؛ لتأثيره في نفس السامع، والمؤثر في السامع إنما هو العبارات لا المعاني النفسية.

وقولهم استعمل لغة وعرفاً، قلنا: نعم. لكن بالاشتراك أو بالحقيقة مما ذكرنا والمجاز فيما ذكرتموه الأول ممنوع؛ لأنه إذا دار الأمر بين الاشتراك والمجاز، فالمجاز أولى[٤٢]. وهذا ما يسمى في الجدل والمباحثة بدليل السبر والتقسيم.

دفاعه عن عقيدة السلف:

إذا أطلق السلف فالمراد بهم السلف الصالح الذين يُقتدى بهم في العلم والدين، وهم الصحابة رضي الله عنهم والتابعون، وتابعوهم بإحسان.

---

(٤٢) «طرف الطرف» ق ١٣.

وإن مظهر الدفاع عن عقيدة السلف والذب عنهم هو أبرز مظاهر الانتماء لعقيدة السلف ومنهجهم، والانتساب لهم، ومحبتهم، وولاية الدين والعقيدة الصحيحة.

وكان للشيخ رحمه الله دور بارز في هذا الصدد؛ بل هذا الجهد في هذا المؤلف «طرف الطرف في الرد على من أنكر الصوت والحرف» أشهر إنتاجه العلمي الذي وصل إلينا، حيث مضمون هذا البحث هو الانتصار لعقيدة أهل السنة والجماعة والمنتسبين لإمامهم الإمام أحمد ابن حنبل في إثبات صفة الكلام لله على الحقيقة اللائقة بجلال الله وعظمته، من غير تحريف ولا تكييف، ومن غير تعطيل ولا تمثيل، وأن كلامه سبحانه بحرف، ومسموع بصوت كما دلت عليه الأدلة الكثيرة من الكتاب العزيز، والسنة النبوية، وآثار الصحابة والتابعين والسلف الصالح.

بل المضمون الرئيس فيها الرد على الأشاعرة والمتكلمين ونحوهم في إنكارهم الحرف والصوت عن كلام الله، وسبب تأليف الرسالة يكمن في:

الدفاع عن عقيدة الإسلام في صفة من صفات الرحمن سبحانه وتعالى، وهي صفة كلام الله، والذب عن عقيدة السلف وعن وصف المنتسبين إليهم من الحنابلة بالأوصاف الخبيثة.

من هذه المقالة الفاسدة التي فشت في بلده بين المتعلمين تأثراً بمذهب الأشاعرة المتكلمين في إنكار الحرف والصوت عن كلام الله.

فأبان الشيخ المؤلف رحمه الله عن حميته ودفاعه عن عقيدة أهل السنة والجماعة، وكذا أبان لعقيدته هو، ولمنهجه.

فرحمه الله وجزاه خير الجزاء وأعظمه.